

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مركز البحوث

مكانة الشباب في الإسلام

(بحث لمشروع الإنترنت)

تم تحميل البحث من موقع الأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد

<http://fac.ksu.edu.sa/saleid1>

إعداد

د. سليمان بن قاسم العيد

المستشار غير المتفرغ بالمركز

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الشباب في الإسلام

ماذا تعني مرحلة الشباب

الشباب مرحلة عمرية يمر بها الإنسان ، تبدأ من سن البلوغ (أي حوالي سن الخامسة عشرة من العمر) وتنتهي تقريباً في سن الأربعين ، وهناك من يجعلها تنتهي قبل الأربعين ، وآخرون يوصلونها إلى الخمسين ، ولكن الراجح من هذا التحديد أن مرحلة الشباب تنتهي في سن الأربعين من العمر ، لأن الإنسان في هذه السن يصل إلى حده في النمو . والأصل اللغوي لكلمة الشباب يدل على أمرين : النماء ، والقوة . ونجد في القرآن الكريم أن سن الأربعين داخلة في هذا المعنى ، كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴾^(١) . وهذا معناه أن الإنسان (إذا بلغ أشده) أي قوي وشب (وبلغ أربعين سنة) أي تنهى عقله وكمل فهمه^(٢) .

أهمية مرحلة الشباب

هذه المرحلة من العمر هي أهم المراحل لما تتميز به عن غيرها ، ومن ذلك ما يلي :-

١ - فترة القوة والإنتاج

يمر الإنسان في مراحل حياته بمراحل تتفاوت قوة وضعفاً ، فهو يخرج إلى الدنيا صغيراً ضعيفاً ، لا يعلم شيئاً ، ثم يكبر شيئاً فشيئاً ، فيقوى جسمه وتنمو حواسه ويزداد عقلاً وعلماً ، حتى يبلغ أشده .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الطور في حياة الإنسان ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ والله أخرجكم من بطون إمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١٥٨/٤ .

والأفئدة لعلكم تشكرون»^(١). أي أن الله أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي يدركون الأصوات والأبصار التي بها يحسون المرئيات والأفئدة وهي العقول التي يميز بها بين الأشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلاً قليلاً كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده. وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه^(٢).

ولكن هذه الفترة من القوة التي تصاحب مرحلة الشباب لا تدوم ، فإن الإنسان يرد مرة أخرى إلى الضعف إذا تقدم به العمر ، وإلى هذا أيضاً أشار القرآن الكريم ، كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(٣). أي أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوىاء في شبابكم .

ولما كانت هذه المرحلة تتصف بالقوة والنشاط والحيوية، كانت تبعاً لهذا هي مرحلة البناء والإنتاج الذي تتطلبه الأمم وتقوم عليه الحضارات في كل زمان ومكان . فإن المنخرطين في سلك العمل على اختلاف أنواعه معظمهم من هذه الفئة فئة الشباب .

٢ - أفضل مراحل العمر

تعود الأفضلية لهذه المرحلة من العمر لما يتمتع به الإنسان فيها من القوة والنشاط ، دون غيرها ، ولما يتوافر لها فيها من كمال الحواس ، فهو في هذه المرحلة أقدر على الانتفاع بحواسه من أي مرحلة أخرى .

ومما يدل على كون هذه المرحلة هي أفضل مراحل العمر ، هو أن الله سبحانه وتعالى عندما يجازي الناس يوم القيامة ، يجعل أهل الجنة شباباً لا يهرمون أبداً . وذلك من كمال

(١) سورة النحل ، الآية ٧٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٨٠/٢ .

(٣) سورة الروم ، الآية ٥٤ .

السعادة . كما أن راحة الحياة وبهجتها غالباً ما تكون في مرحلة الشباب ، فهي مرحلة يتطلع إليها الصغير ، ويتمناها الكبير ، ولذا فقد بكى عليها الشيوخ وتغنى بها الشعراء .

٣ - أطول مراحل العمر

إن عمر الإنسان في الغالب بين الستين والسبعين سنة ، وبهذا أخبر رسول الله ﷺ حين قال « أعمار أمتي بين الستين والسبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك »^(١) . فإن الوسط الحسابي لهذين العددين (٦٠،٧٠) هو ٦٥ سنة . وإذا كان زمن سن الطفولة من الولادة حتى نهاية الرابعة عشرة ، وسن الشباب من بداية الخامسة عشرة إلى نهاية الأربعين ، وسن الكهولة من الحادية والأربعين حتى نهاية الخمسين . وسن الشيخوخة بعد ذلك إلى آخر العمر، نجد أن مرحلة الشباب هي أعلى نسبة في مراحل العمر ، لذا فإنه يكون فيها أكثر تجارب الحياة والعمل والإنتاج ، وتتضح نسبة مرحلة الشباب إلى غيرها من مراحل العمر بالجدول الآتي :-

المرحلة	السنوات		النسبة المئوية
	من	إلى	
الطفولة	الولادة	الرابعة عشرة	٢٢
الشباب	الخامسة عشرة	الأربعين	٤٠
الكهولة	الحادية والأربعين	الخمسين	١٥
الشيخوخة	الحادية والخمسين	الوفاة	٢٣

٤ - الشباب عماد الأمم

الشباب في جميع الأطوار وفي أي قطر من الأقطار هم عماد حضارة الأمم ، وسر نهضتها ؛ لأنهم في سن الهمم المتوثبة والجهود المبذولة ، سن البذل والعطاء ، سن التضحية والفداء . وغالباً ما يمثل الشباب النسبة العظمى من السكان في الدول النامية ، الأمر الذي يقتضي مزيداً من الاهتمام به ، والاستثمار فيه ، حيث يعتمد نمو خيارات هذه المجتمعات، وملاحقتها لمطالب التطور وتفوق هيكل عملها وجودته على مدى جدوى عنصر الشباب فيها ، ولهذا السبب نفسه نجد أنه سرعان ما ينهار أي مجتمع وتضيع قيمه إذا ما وهن شبابه،

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، ٥٥٣/٥ .

وأغلقت دونه نوافذ العلم والخبرة ، بينما تتقدم المجتمعات الأخرى وتسبق غيرها معتمدة على فارق الزمن في إطلاق هذه الطاقات لأقصى ما تستطيع ، وكلما اغتنمت الدول طاقات شبابها في العلم والإنتاج وبناء الحضارة زاد إنتاجها وحققت أهدافها .

الإسلام والشباب

مما سبق علمنا أهمية هذه المرحلة من العمر ، لذا فقد عني الإسلام بهذه المرحلة من العمر عناية خاصة ، ووجهها للبناء والخير ، وجنبها الهدم الشر . فهو يهدف إلى جعل هذه المرحلة من العمر (مرحلة الشباب) مرحلة خير على مستوى الفرد والجماعة .

وإذا تأملنا القرآن والسنة وهما المصدران الأساسيان في التشريع للمسلمين ، لوجدنا فيهما اهتماماً خاصاً بمرحلة الشباب ، سواء في الثناء وذكر الإنجازات ، أو في الإرشاد والتوجيهات الخاصة بهذه المرحلة .

وعلى سبيل المثال نجد أن القرآن الكريم يحدثنا عن الشباب بأنهم هم الذين اتبعوا الرسل وصدقوهم وآمنوا بهم ، فهؤلاء أتباع موسى (عليه السلام) يصفهم ربهم بقوله : ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فَرْعُونَ وَمَلَأَهُ أَنْ يِفْتَنَهُمْ وَإِنْ فَرْعُونَ لَعَالٌ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١) . يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من البينات والحجج القاطعات ، والبراهين الساطعات ، إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب ، لأن من آمن فهو معرض للإيذاء من فرعون وأعدائه ، أما هؤلاء الشباب الأقوياء فقد وطنوا أنفسهم على تحمل المتاعب والمشاق في هذا السبيل ، وهم يعلمون أن ما أصابهم في سبيل الله سبحانه وتعالى سوف يلاقون عليه أحسن الجزاء .

كما أن القرآن الكريم قد أثنى على فئة من الشباب الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى وكافأهم على ذلك بزيادة الهدى حين قال سبحانه وتعالى ﴿إِنْهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٢) . والفتية في اللغة العربية هم الشباب . وهؤلاء الشباب لهم قصة عجيبة ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه ، وذكر فيها من الشيء المعجز ما لم يحدث لغيرهم .

(١) سورة يونس ، الآية ٨٣ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ١٣ .

وأتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جلهم من الشباب ، فقد آمن به أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وكان عمره نحواً من ثمان وثلاثين سنة ، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أسلم ولم يبلغ الثلاثين من عمره ، وكذلك علي وعبد الله بن مسعود ، وسعيد بن زيد ، ومصعب بن عمير ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وخباب ، وعشرات غيرهم ، بل مئات كانوا شباباً .

ففتة الشباب على مدار التاريخ وفي جميع الأطوار والأقطار وعلى اختلاف الدعوات ، هم أكثر الناس تأثراً وأسرعهم استجابة ، بخلاف الشيوخ الذين في الغالب يتمسكون بمعتقداتهم ويؤثرون موروثاتهم ، ولو تبين لهم الحق فيما يدعون إليه .

كما يشير القرآن الكريم أيضاً أن هذه المرحلة من العمر هي مرحلة القوة التي يعيشها الإنسان بين مرحلتي ضعف ، كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَدْوٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(١) .

كما أن النبي محمد ﷺ قد اهتم بالشباب اهتماماً خاصاً ، ولا عجب بذلك إذا علمنا أن الذين آمنوا معه في بداية الدعوة كلهم من الشباب فأيدوه ونصروه ونشروا دعوته وتحملوا في سبيل ذلك المشاق طلباً لما عند الله سبحانه وتعالى .

ومن الاهتمام بعنصر الشباب نجد ما يبينه الرسول ﷺ من مكانة الشباب الذي ينشأ على طاعة الله سبحانه وتعالى ، فهذا الصنف من الشباب لهم مكانة عالية عند الله سبحانه وتعالى حيث ينجيهم من الضيق والكرب الذي يلحق الناس يوم القيامة فيظلمهم الله سبحانه وتعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في طاعة الله سبحانه وتعالى ... » .

كما نجد أن الرسول ﷺ يخاطب فئة الشباب ويوصيهم بوصية عظيمة بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم

(١) سورة الروم ، الآية ٥٤ .

يستطيع فعلية بالصوم فإنه له وجاء»^(١) . ففي هذا التوجيه النبوي صيانة للشباب من فساد السلوك والوقوع في الإثم ، الذي في الغالب يكون يسببه من الدافع الجنسي ، فإن الشهوة الجنسية عند الشاب قوية ، وبالتالي فإنها تدفعه إلى ارتكاب المحرمات . ويفيد الحديث أن من قدر على تكاليف الزواج فعليه بالمبادرة ، حتى تهدأ نفسه وتسكن شهوته . ولكن من لم يستطيع تكاليف الزواج فإن النبي ﷺ وجهه توجيهاً آخر لحفظ نفسه من عواقب هذه الشهوة ، فعليه بالصوم ، فإن الصائم يمتنع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر حتى غروب الشمس ، وهذا مما يسبب له الإحساس بالجوع ، والجوع يضعف الشهوة الجنسية عند الإنسان ، وبهذا يسلم الإنسان من عواقبها السيئة .

وفي هذا الجانب وفي إطار حرص النبي ﷺ على الشباب وصيانتهم من عواقب هذه الشهوة نقف مع حوار دار بين النبي ﷺ وبين أحد الشباب الذي جاء يستأذنه في الزنا جاهلاً بحكمه في الإسلام ، وإليك الحوار :

قال الشاب : يا رسول الله أئذن لي بالزنا .

فقال النبي : ادنه، فدنا منه قريباً، قال فجلس، قال أتجبه لأملك.

قال: لا والله! جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتجبه لابتك؟

قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتجبه لأختك؟

قال لا والله! جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتجبه لعمتك؟

قال: لا والله! جعلني الله فداءك .

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال أفتجبه لخالتك؟

قال: لا والله! جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

(١) أخرجه البخاري ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٥٠٦٦ .

قال: فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .^(١)

وعناية الرسول ﷺ بالشباب تتخذ أشكالا عديدة منها الوصايا النافعة لهم ، ومن ذلك وصيته لابن عمه عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٢) .

فهذه وصية عظيمة من رسول الله ﷺ لابن عمه الغلام ابن عباس، وصية يتكفل الله سبحانه وتعالى لمن عمل بها أن يحفظه في أموره كلها ، ومن جملتها أعز ما يملكه الإنسان إيمانه بربه ، فيحفظه الله سبحانه وتعالى من الشبهات المضلة ، ومن الشهوات المحرمة. ويدخل في هذا الحفظ أيضاً حفظ الشاب في ماله وبدنه وأهله وكل أموره .

ومن الوصايا القيمة التي أوصى بها النبي ﷺ الشباب وصيته لأبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٣) .

وهذه الوصية نفسها أوصى بها الشاب معاذ بن جبل (رضي الله عنه) حيث قال : يا رسول الله! أوصني، قال: « اتق الله حيثما كنت -أو أينما كنت- قال: زدني قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها، قال: زدني، قال: خالق الناس بخلق حسن»^(٤) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، حديث رقم ٢١٧٠٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة ، ٦٦٧/٤ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في كتابه (صحيح سنن الترمذي) ٣٠٩/٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في سنن ، كتاب البر والصلة ٣٥٥/٤ ، وقال : حديث حسن صحيح . وحسنه الألباني في كتابه (صحيح سنن الترمذي) ١٩١/٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، حديث رقم ٣١٥٥٤ .

فالأوصية (اتق الله حيثما كنت) توقف في الشباب مراقبة الله سبحانه وتعالى، وخشيته، في كل زمان ومكان، فالشباب معرض أكثر من غيره للوقوع في المعصية، لقوة دافع الشهوة عنده، فإذا ضعفت نفسه وزلت به قدمه، فإنه يجد في وصية رسول الله ﷺ ما يمحو ذنبه ويريح قلبه.

ومن عناية الرسول ﷺ بالشباب ما كان يعاملهم به من التقدير لحقوقهم والاعتراف بمكانتهم ، ويدل على ذلك ما يرويه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشارب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصبي منك أحدا قال فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده»^(١) . فلم يحتقر الرسول ﷺ الغلام لصغر سنه بل اعترف له بحقه الذي شرعه له الإسلام لأنه عن يمين الرسول ، فاستشاره في تقديم الشراب إلى من هو أكبر منه ، ومن له مكانة عند المسلمين ، إلى أفضل هذه الأمة بعد نبيها وهو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) . فآثر الغلام أن يشرب بعد رسول الله ﷺ فأعطاه الرسول ﷺ فشرب .

أضف إلى ذلك ما كان يقابلهم به رسول الله ﷺ من السرور وطلاقة الوجه -وهو سيد البشر- كما يروي ذلك الشاب جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: « ما حجني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رأني إلا تبسم في وجهي...»^(٢) .

وفي إطار عناية الرسول ﷺ بالشباب النابعة من فهم عميق بخصائص هذه المرحلة نجد النبي ﷺ لا يغفل عن ضبط حماسهم وتوجيههم إلى ما يتناسب وطبيعة أعمارهم . ويدل على ذلك قصة الشباب الثلاثة الذي أبدوا حماساً في العبادة ، كما يروي ذلك أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا : وأين نحن من النبي (صلى الله عليه وسلم) قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني

(١) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الأشربة ، حديث رقم ٥٦٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ٤٨/٣ .

أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فقال: « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١) . كل ذلك شفقة من الرسول ﷺ على هؤلاء الشباب الذين عزموا على ترك بعض ما أحل الله لهم والاجتهاد في طاعة الله سبحانه وتعالى .

وفي هذا الإطار نفسه نجد أن النبي ﷺ يشفق على الشاب عبدالله بن عمرو بن العاص عندما أخذه حماس الشباب في قراءة القرآن كاملاً كل ليلة ، فلما علم بذلك الرسول ﷺ قال له مشفقاً عليه : «إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمّل فاقراه في شهر فقلت دعني أستمع من قوتي وشبابي قال فاقراه في عشرة قلت دعني أستمع من قوتي وشبابي قال فاقراه في سبع قلت دعني أستمع من قوتي وشبابي فأبى»^(٢) .

وعناية الباب بالشباب ليست في عصر دون عصر ، ولا في مكان دون آخر ، بل هي في كل مكان ، وفي كل زمان ، ولا عجب في ذلك فقد جاء الإسلام بالخير والسعادة لكل البشرية، فمن وفقه الله لهذا الدين سعد في دنياه وأخراه ، ومن ضل عن هذا الدين فهو على خطر عظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ٣/ ٣٥٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ١/ ٤٢٨ .